

ممثل المرجعيّة في اوروبا معزيا بذكرى وفاة النبي: أهم عنصر لنجاح رسول ا□ في دعوته هي الأخلاق

عزى ممثل المرجعية الدينية في اوروبا العلامة السيد مرتضى الكشميري العالم الإسلامي بذكرى وفاة النبي المصطفى (ص) وقال ان لخاتم الأنبياء محمد (ص) أربعة أوسمة ذكرها القرآن لم تكن لغيره من الأنبياء (ع): (سمو الذكر) و(حوض الكوثر) و(الشفاعة الكبرى) وأنه (الوسيلة لأمته)

جاء حديثه هذا بمناسبة ذكرى شهادة النبي (ص) التي تصادف يوم السبت 28 من شهر صفر قائلا:

منذ أن فتح النبي محمد (ص) عينه في هذه الدنيا والكتاب يكتبون والباحثون يحللون والمحققون يحققون والخطباء يتحدثون دون توقف، وما يزالون يكتشفون المزيد من أسرار عظمة هذه الشخصية التي هي السبب لهذا الوجود: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك..).

وحتى لا نسلك مسلك الإفراط والمغالاة في شخصيته، ولئلا نغالي فيه كما غالت اليهود والنصارى في نبي

ا□ موسى وعيسى (ع) علينا أن نرى ما هو تقييم القرآن لمقام النبوة؟ ومن خلال جوابه تتهاوى كل الشبهات والافتراءات التي يثيرها المستشرقون وغيرهم ضده (ص)، وتتحطم آمالهم وآمال الامويين ومن سار على نهجهم في اختلاق الأحاديث والروايات لتشويه هذه الشخصية العظيمة.. فلنستمع إلى ما يقوله القرآن حول شخصية النبي(ص):

2- العلم المطلق: ((وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعَلَّمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظَيِماً))

هذا العلم الذي لا يمكن أن تحد أغواره وتعرف حقيقته، علم مصدره ا□ سبحانه وتعالى، علم لا يتسرب إليه الشك والخطأ والسهو والنسيان والاشتباه، علم مصدره اليقين والقطع، لا كما يذهب اليه البعض حيث يقول: إن النبي كان يبعث السرايا عن اجتهاد، ولا ضير في أن يخالفه من يخالفه.

وهذا العلم في حقيقته وجوهره انتقل من بعده إلى علي بن ابي طالب (ع) الذي قال: (علمني رسول ا□ (ص) ألف باب، كل باب يفتح ألف باب) وقال (ع): (سلوني قبل أن تفقدوني)، وهذا العلم انتقل إلى أولاده (ع) من بعده: (نحن نرث العلم صاغر عن كابر).

3- الطهارة من كل رجس ودنس، لقوله تعالى: ((إِنَّ َمَا يُرِيدُ اللَّهَ ُ لِيدُدْهِبَ عَنكُمُ الرِّ ِجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيَمُطَهَ ِّرَكُمْ تَطْهْبِيراً)). ونعني بالطهارة أنه مطهر من دنس الفكر والسلوك ومن كل رجس وشرك، فهو معصوم عن كل ذلك: (اَشهَدُ الَّهَ البَلادُ النَّكَ طُهُرُ طاهِرِ مُطاهِرٍ مُطاهِرٍ مُطاهِرٍ مُطاهِرٍ مُطاهِرٍ مأها البَلادُ وَطَهارِتَ وَطَهارِتَ مواها اللهابِلادُ وَطَهارِتَ الرَضُ النَّتَ بَيها وَطَهارُ حَرَم ُكاَ...)؛ لأن الشرك لا يجري في عروق الأنبياء، لذا فالقرآن يشهد ببراءته من كل خيانة وفحشاء وظلم، وأنه مصون من الاستجابة لشهواته الهابطة ونزواته العابرة، ومثله كان اهل بيته (ع).

وأي شهادة أرقى من هذه الشهادة؟ إنها شهادة ا□ له ولأهل بيته بالإرادة التكوينية بإذهاب كل سوء ورجس عنهم؛ ولذا نرى القرآن لم يكتف بقوله ويطهركم، بل قال: ((تطهيرا))، فذكر المفعول المطلق ليؤكد طهارة رسول ا□ وأهل بيته (ع)، وأنهم مطهرون في الفكر والسلوك وحتى في النوايا، فلا يفكرون بالسوء والرجس بكل أنواعه من الرذيلة والخيانة والفحشاء والظلم، حيث لا يقترب الرجس من ساحة محمد وآل محمد (ص).

4- العبادة، لقوله تعالى ((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدَّنَى مِن ثُلَّثَيِ اللَّيَاْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلَّتُهُ))

حيث كان (ص) هو الشخصية الكاملة في العبادة ، حتى أن المؤرخين يقولون عنه: (صَلَّيَ حَتَّيَ تَّ حَتَّيَ تَوَرَّ مَتَ ْ قَدَمَاهُ ، فَقَيِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهَ ِ ، أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ ْ غَفَرَ اللَّهَ وَرَّ مَتَ ْ قَدَمَاهُ ، فَقَيِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهَ ِ ، أَتَفْعَلُ هَذَا وَقَدْ غَيْرَ أَلَّ اللَّهَ لَلَّ مَا تَقَدَّمَ مَنِ ْ ذَنْبِيكَ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ قَالَ : أَفَلا أَكُونُ عَبِدْاً اللَّهَ لُلَّ مَا تَقَدَّمَ مَنْ (طه مَا أَنزَلَاْنَا عَلَيْكُ النَّقُرْ آنَ لِيَتَشْقَى)).

وهكذا شابهه أهل بيته في العبادة وفي مقدمتهم علي (ع) حليف المحراب، وذلك بما تركه من الآثار الناصعة في أدعيته المباركة كدعاء كميل ودعاء الصباح والصحيفة العلوية، وكذلك ما تركه ولده الامام زين العابدين (ع) في صحيفته السجادية.

5- الأخلاق، لقوله تعالى: ((و َإِنَّكَ ل َع َلم خ ُل ُق ٍ ع َظ ِيم ٍ)) وقال (ص): (إنما بعثت لأتمم مكار

م الاخلاق).. لم يقل: (لأؤسس الأخلاق)، لأن الأخلاق فطرية موجودة عند البشر، وإنما قال (ص): (لأتمم)، أي جاء ليكمل الاخلاق الفطرية الموجودة في صميم الانسان.

إن أهم عنصر لنجاح رسول ا□ (ص) في دعوته هي الأخلاق، رغم أنه كان يملك (القران المعجزة الخالدة)،

وكونه (المعصوم) و(الانسان المثالي).. فبرغم كل هذا فإن أهم عنصر لنجاح دعوته (ص) هو عنصر الأخلاق، بشهادة القران: ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِينتَ ليَهُمْ وَليَوْ كُنْتَ فَظَّا ً غَليظً اللهُ لينتَ ليَهُمْ وَليَوْ كُنْتَ فَظَّا ً غَليظً الاُقْتَلاْبِ لاَ نفَضَّ وُا مِنْ حَوْليكَ))، فخشونة الصحراء كانت يجب أن تقابل بنعومة النبي ومرونته، وأخلاقه (ص) كانت هي المعجزة.

مضافا إلى ما ذكرناه فقد منح ا□ نبيه (ص) أربعة أوسمة ذكرها القرآن لم تكن لمائة و أربعة و عشرين ألف نبى من قبله:

1- أنه الشفيع الاكبر يوم الجزاء، قال تعالى: ((و َل َس َو ْف َ ي ُع ْط َيك َ ر َبّ ُك َ ف َ ت َر ْض َى)). فقد دخل النبي (ص) على فاطمة عليها كساء من ثلة الابل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول ال (ص) لما أبصرها فقال: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الاخرة فقد أنزل ال تعالى علي: ((و َل َس َو ْف َ ي ُع ْط َيكَ ر َبّ ُكَ ف َ ت َ ر ْض َى))، يقول الامام الصادق (ع): (رضا جدي أن لا يدخل النار موحد) ، فالنبي هو الشفيع الاكبر.

2- ((إِنَّاَ أَعَّطَيَعْنَاكَ الـ°كَوَّثَرَ)). فقد وعد ا□ نبيه (ص) بامتداد وجوده المادي، حيث قال: ((إِنَّاَ أَعَّطَيَعْنَاكَ الـ°كَوَّثَرَ))، فأبناؤه اليوم الذين يتجاوز عددهم الملايين في الدنيا هم المصداق الأمثل لقوله: ((إِنَّاَ أَعَّطَيَعْنَاكَ الـ°كَوَّثَرَ)).

3- أنه وسيلتنا إلى ا□ ، قال عز وجل:((وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذِ ظَّلَمُمُواْ أَنفُسَهُمْ ْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفُرُواْ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرِّسَولُ لَوَجَدُواْ اللَّهَ تَوَّااباً رِّحَيِماًً)).

فالمسلمون من البدء وحتى اليوم كانوا يزورون قبر النبي (ص) ويتوسلون بقبره إلى ا∏ لتقضى حوائجهم للدنيا والآخرة، ولا يهمنا قول من قال خلاف ذلك.

4- سمو الذكر، قال تعالى: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكَّرَكَ)). فرغم كيد الاعداء بقي وسيبقى اسم محمد يتألق في الدنيا، وقد حاول الأمويون وأتباعهم من المستشرقين والمرتدين أن يحطوا من قدر النبي (ص) ومن شخصيته، ولكن أبى ا□ إلا أن يتم نوره، فقال: ((وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكَرْكَ)).

هذه بعض الومضات القرآنية عن شخصية النبي المصطفى (ص)، وللتاريخ عن مقامه الكريم حديث لا يسعنا

حتى الإشارة إليه، غير أن الحكمة الإلهية اقتصت في مثل هذه الأيام أن يرحل هذا النبي الرؤوف بأمته والعطوف عليهم إلى رضوان ال ولطفه (محفوفا ً بالملائكة الأبرار، ورضوان الرب الغفار، ومجاورة الملك الجبار)، قد ترك الأمة في حزن ولوعة وحسرة ودمعة (فتلك والالنازلة الكبرى والمصيبة العظمى لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب ال جل ثناؤه في أفنيتكم وفي ممساكم ومصبحكم يهتف في أفنيتكم هتافا وصراخا وتلاوة وألحانا ولقبله ما حل بأنبياء ال ورسله حكم فصل وقضاء حتم) فيا لها من خسارة لا تعوض! فوداعا ً لك يا رسول الإنسانية والمحبة الذي كنت بالمؤمنين رؤوفا ً رحيما ً وعلى الكافرين عذابا صبا ً وسلام عليك يوم كنت نورا ً في الأصلاب الشامخة و الأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك المدلهمات من ثيابها، وسلام عليك يوم ولدت ويوم عشت ويوم تبعث حيا ً.

هذا و نحن حينما نودع رسول ا□ (ص) في هذه الأيام الحزينة علينا أن نتذكر بأنه قد ترك فينا الثقلين: الكتاب و العترة الطاهرة لنسير على نهجهما و نتبع تعاليمهما حتى نحظى بسعادة الدارين .

نسأل من ا∏ سبحانه و تعالى أن يثبت أقدامنا و يحسن عواقب أمورنا و ينصرنا على أعدائنا إنه سميع مجيب .